

دور النساء في العصر الجاهلي في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني

المدرس المساعد جلييلة فيصل برغش هادي
جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية
jalbadrawi@uowasit.edu.iq

الملخص

(دور النساء في العصر الجاهلي في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني)

أولاً: تطرقت لدراسة سيرة عالم موسوعي جامع للعلوم والمعرفة أبي فرج علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن الأصفهاني البغدادي الشيعي وهو من ولد محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية وردت عنه أقوال كثيرة من علماء عصره أشادوا له بالبنان، أئتم بالموسوعية، حفظ من الشعر، والتاريخ، والأثار، والأغاني ما لا يحصى من مختلف الاختصاصات ومن أشهر مؤلفاته كتابه (الأغاني)، الذي جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم، وأنسابهم، وأيامهم، ودولهم، ووفياتهم جمعه منذ خمسين سنة وأهداه لسيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار تثميناً لجهوده لتأليفه هذا المصنف الأدبي الرفيع.

ثانياً: تناولت دور المرأة في عصر يسوده الظلم والجور، كانت المرأة تعامل كالسلعة تباع وتشترى في الأسواق، عاشت في ظل نظام بائس بخس حقوقها، وأذلها وجعلها أمه، وجارية وتحملت أقسى أنواع الهوان من الذل وحرمت من كافة حقوقها، إلى جانب اهتمامها الكبير في تكوين الأسرة، وإعداد الطعام وتربية الأطفال وينبغي عليها الخضوع لزوجها، لكنها استطاعت تخطي كل الحدود لتسلك سلم الحرية بعد أن عصفت بها رياح العبودية.

ثالثاً: لعبت هذه المرأة أدوار متعددة في تحقيق الهدف الأسمى بعضهن ممن أجادت تنظيم الأشعار، والقصائد وتغنى بهن الشعراء في أشعارهم في مجالس الأتس والمحافل وكانت نموذج للمرأة المغلوب على أمرها.

الكلمات الرئيسية: أبي فرج الأصفهاني – كتاب الأغاني – دور المرأة في العصر الجاهلي – صاحب بن

عباد

The Role of women at Pre-Islamic period in the book of songs for Abi Faraj Al-Asfahani

Asst. Lecturer Jaleelah Faisal Barghish Hadi

Wasit University/ College of Education for Humanities

E-Mail jalbadrawi@uoiwasit.edu.iq

Abstract

First: Regarding the title mentioned above, the researcher highlights to a wide global cyclopedic scientist that gathered science and knowledge, he is Abi Faraj Ali Bin Al-Hussain Bin Mohammed Bin Al-Haitham Bin Abdul-Rahman Al-Asfahani Al-Baghdadi Al-Shiite, and he is one of Marwan Bin Al-Hakam's sons the last Caliphate of Umayyad. Many scientists in his period praised him. He was characterized with wide knowledge, memorizing poetry, history, heritage and songs from different fields. One of the most famous writings his book "The songs", that he collects the Arab's narration, their poetry, ancestors, their days, their states and even their deaths and granted it to the Sword of the state Bin Hamdan, and in return he paid him one thousand dinars for this great high-minded literary work.

Second: This paper adopts the role of women in the middle of society characterized with despotism and injustice. The woman at that time was treated an accommodation traded at the markets, and lived under a humiliating system that neglected her rights, and made her as a slave and bearded all kinds of insult and humiliation, and forbidden from all her rights, beside she concerns to build a family, preparing food and raising the children. Instead, she has to obey her husband, but she crossed all the limits to claim the ladder of freedom, after being destroyed by the slavery wind.

Third: The woman has played multi roles in achieving the main target, some of them were talented in writing poetry and poems, and some poets wrote about these

women in the entertainment and ceremonies councils. She was a good example for powerless.

Key words: Abi Faraj Al-Asfahani, Book of Songs, the role of women at the Pre-Islamic period, Al-Sahib Bin Ibad.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأكرم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين .

وبعد...

لعبت المرأة دورا كبيرا على مسرح الأحداث التاريخية في عصرها الجاهلي من منتهى حضيض الحرمان الى أعلى مراتب العزة والكرامة ، سلطت عليها الأضواء من مصادر التاريخ الإسلامي، منها كتاب الأغاني أنفرد مؤلفها بمنهج العلمي ومصادقته برواية الأحداث وقدرته على استخلاص النادر منها هو ما جعلنا نختار هذا الموضوع الحيوي مشروعا لبحثنا تحت عنوان : (دور النساء في العصر الجاهلي في كتاب الأغاني لأبي فرج الاصفهاني)

بحثت كثيرا في بطون أمهات الكتب لأجد ما اقف به عن حال المرأة في عصرها الجاهلي اعتبرت الأكثر حرمانا ومظلومية حتى كانت إنسانيتها موضع التشكيك والترديد أذ نشأت في بيئة كان يسودها التخلف، والجهل بطبيعة يطغى عليها العنصر الذكوري والتقاليد البالية في ذل العيش عانت الأمرين من الرق، والعبودية هذا من جهة ، الى جانب ظاهرة الوأد التي تداولت في العصور الجاهلية من جهة أخرى لذا ارتأيت البحث عن حياة المرأة ودورها الريادي في العصر الجاهلي في ظل ظروف قاهرة وبالتالي فأن الموضوع يحتاج الى المزيد من البحث الحثيث عن مجريات حياتها في كتاب الأغاني ، فشملت خطة البحث على تمهيد تبلور لدراسة سيرة الاصفهاني و مصادر أخباره عن أحوال المرأة في الجاهلية ، شمل المبحث الأول حياة أبو فرج الاصفهاني ومصادر أخباره في كتابه الأغاني عن أخبار المرأة في الجاهلية تناول المبحث الثاني دور المرأة من خلال كتاب الاغاني في الحياة الدينية والاجتماعية ، درس المبحث الثالث، دور المرأة من خلال كتاب الأغاني في الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية، تمثل دورهن في براعتن بمختلف الفنون بإيجاد الشعر ونظمه وبرز عدد غير قليل من شاعرات العصر الجاهلي كانت لهن صولة في ميدان الشعر وتغننت بهن القصائد في المجالس والمحافل ،فضلا عن أنشادهن الغناء وكان يطلق على المغنية في العصر الجاهلي القنية ، كثيرا من جوارى العصر الجاهلي كانت تجيد الغناء بأصوات جميلة، وإحساس رائع ،بالرغم أن للجواري أسواق تباع بها وتشتري وبأعلى الأثمان ،وليس هذا فحسب ، كما برع بعضهن في مزاوله مهنة التجارة وخير مثال على ذلك سيدة نساء عصرها خديجة بنت خويلد (رض) كانت صاحبه ثروة وأموال كثيرة، الى جانب خلقها الرفيع كيف

وهي زوج الرسول محمد (ص) سيد الكائنات ،ويبدو أن تلك المرأة الجليلة خير النساء عفة، وخلق، وإباء، وما دمنأ بصدد الحديث عن التجارة وما يقابلها من المهن البسيطة امتهنت أكثر نساء العصر الجاهلي مهن يدوية لا تتعدى، الغزل، والنسيج، والحياسة، والدباغة، والصباغة وغيرها، أما المبحث الثاني فقد تحدث عن مكانة المرأة في العصر الجاهلي عند أبي فرج الأصفهاني ومألت إليه فلم تقنع المرأة في العصر الجاهلي بلعب دور الأمه، والجارية، والزوجة فحسب، بل رسمت لنفسها دورا تخطى في حدوده كل الأدوار التي كانت تحيط بها في عصر يسوده الظلم، والجور، والتقاليد البالية القديمة تمتع الكثير منهمن باهتمام كبير من قبل أقوامهن، بعد أن كانت مهانة ذليلة مستصغرة بين جلدة قومها.

وقد ذيلنا البحث بخاتمة احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في ضوء الشواهد والحقائق التاريخية منها ما ورد في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني التي أعتمدها الكتاب أساسا في مادته، ومن أهم المراجع التي اعتمدتها الباحثة ابن الزيات وكتابه الموسوم " المرأة في الجاهلية " واحتوى على كثير من الروايات فكان كل ما قدمه لا يعدو القصص المستوحاة من التاريخ وأعطى صورة جلية لحياة المرأة في الجاهلية بدءا من أمه وجارية حتى بلوغها صرح العلى .

تمهيد

سيرة الاصفهاني ومصادر أخباره عن أحوال المرأة في الجاهلية ينقسم على قسمين

أولا - حياته:

هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي الكاتب^(١) ولد سنة (٢٨٤ هـ / ٣٥٦ م) صنف لبني أمية كتب نفيسة^(٢)، جده مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ولد بأصبهان ونشأ في بغداد وجعلها موطنه الأصلي وكانت داره واقعة على ضفاف نهر دجلة وهي ملاصقة لدار أبي الفتح البريدي^(٣) .

وأشهر مصنفها روي عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم ، كان عالما بأيام الناس والأنساب والسير^(٤) فضلا عن براعته في حفظ الشعر والأغاني، والأخبار، والأثار، شديد الاختصاص بهذه العلوم يحفظ ما لم يحفظ من العلوم الأخرى^(٥) إلى جانب اهتمامه في الرواية، وعلم التجريح، وعلم البيطرة، والطب، والتاريخ، والنجوم وهذه العلوم المتنافرة لا يجمعها جامع من الدراسة المنهجية كونه أديبا نسابة علامة شاعرا كثيرا التصانيف

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٣٠٨، اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٢، ص٢٧٠.

(٢) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص١٠٨، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص١٩.

(٣) ابن العماد، لمصدر نفسه، الجزء، والصفحة

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ١.

(٥) الأصفهاني، مقال الطالبين، ص٤.

(٦) وتتلذذ على أيدي جل علماء عصره ، سمع على جماعه من شيوخه وعلى رأسهم أبو بكر بن دريد بن ابي بكر بن الانباري بن حباب الجمحي، وعلي بن سليمان الأخفش ،ومحمد بن جرير الطبري ،واحمد ابن جعفر بن جحظة ،ومحمد بن خلف المرزبان ،وجعفر ابن قدامة ،واحمد بن علي بن يحيى المنجم وعمه الحسن بن محمد وآخرون^(٧) ، يرجع في نسبه لعبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان آخر خلفاء بني أمية في بلاد الشام ،وصنف مصنفاته لآل أمية في الشام وسيرها اليهم سرا، وجاؤه الأنعام والعطاء سرا ايضا^(٨).

ثانيا- أخباره : كان لأبي الفرج مكانة اجتماعية كبيرة في منتديات بغداد الأدبية ،ومجالسها العلمية منها الخطوة التي نالها عند ركن الدولة صاحب أصفهان (ت ٤٦٦هـ / ١٠٧٣ م)^(٩) .

ينبغي أن تكون للأصفهاني هذه المنزلة سببا وجيها لرفع مكانته في لأواسط الاجتماعية والسياسية للدولة العباسية^(١٠) فقد تولى منصب كاتب عند ركن الدولة^(١١) وأصبح حظيا عنده محتشما لديه ، كان يتوقع من الفضل بن العميد أن يكرمه ويجله ويفضل عليه بالدخول والخروج^(١٢) ،أذ أصبح من المقربين لأبن هارون المهلبى وزير معز الدولة البويهى وأبرز ندمائه ،والمختصين لديه أذ أغدق عليه ببعثاته السخي، وثنائه الجلي وجعله من المقربين إليه^(١٣) .

ألف القاضي كتابه الأغاني الذي جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم ،وانسابهم ، وأيامهم ، ودولهم، وجعل مبتغاه على الغناء في المائة صوتا التي أختارها المغنون للرشيد فأستوعب به ذلك انه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت في كل فن من فنون الشعر والتاريخ وسائر الأحوال وهو الغاية التي يسموأ إليها^(١٤).

وذكره ابو محمد المهلبى : سألت الأصفهاني ذات يوما ،كم جمعت هذا الكتاب فقال في خمسين سنة، كتبه مرة واحدة في عمره، وهي النسخة التي أهداها الى سيف الدولة حمدان^(١٥) فأعطاه ألف دينار وعندما بلغ ذلك الى الوزير

(٦) الذهبي، تاريخ الأسلام، ج٢٦، ص١٤٤.

(٧) الاصفهاني، الاغاني، ج١، ص١٤.

(٨) المصدر نفسه، الجزء ١، ص١٢.

(٩) الحسن بن بويه الديلمي ،صاحب أصفهان والري وهمدان وجميع العراق ،وهو والد عضد الدولة ومؤيد الدولة وأخو معز الدولة وكان ملكا جليل القدر عالي الهمة ،وكان الفضل بن العميد وزيره والصاحب بن عباد وزير ولده عماد الدولة الياضي، مرأة الجنان وعبرة اليقظان، ج٣، ص٧٢.

(١٠) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

(١١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٠٧.

(١٢) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

(١٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٠٥.

(١٤) تاريخ أبي خلدون، ج١، ص٥٥، الاصفهاني، الاغاني، ج١، ص٥.

(١٥) ابو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون كان في ابتداء أمره في خدمة أخيه ناصر الدولة الى أن دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فأنفرد سيف الدولة بديار بكر ثم بسط نفوذه الجزيرة عند إخراج ماكرد منها ، النويري، نهاية الأرب ، ج٢٦، ص ١٢٣.

((ينبغي على سيف الدولة بن حمدان أن يكرمه فوق استحقاقه ،أذ كان متوجاً بالمحاسن ،فهو للزهد فكاهة، وللعلم مادة وريادة))^(١٦) وفي قول الوزير ابو القاسم بن الحسن في مقدمة ما أنتخبه منه كتاب الأغاني واصفا الكتاب فأطنب في وصفه ولاراقتني منه سواه^(١٧) ومن أقوال مؤرخي العرب صاحب كتاب الفهرست لأبن النديم ،أحتوى كتاب الأغاني نحو خمسة آلاف ورقة^(١٨) ويروى في كتابه هذا كثيرا من الأخبار بقوله " نسخت من كتاب فلان"^(١٩) ويحكى عن صاحب بن عباد سمع من الفضل بن الحباب، وذكر ابو الفضل بحقه رأيت له كتب في دار أبيه وكتب في الأحكام ،و مذهب الاعتدال استحسنته كل من رآه،^(٢٠) كان في أسفاره يستصحب حمل ثلاثين من

المبحث الأول - أبو فرج الأصفهاني ومصادر إخباره في كتابه الأغاني عن أخبار المرأة في الجاهلية .

أولا - سيرته : علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي الكاتب^(٢١) ولد سنة (٢٨٤ هـ / ٣٥٦ م) صنف لبني أمية كتب نفيسة^(٢٢) ،جده مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ولد بأصبهان ونشأ في بغداد وجعلها موطنه الأصلي وكانت داره واقعة على ضفاف نهر دجلة وهي ملاصقة لدار ابي الفتح البريدي^(٢٣) .

وأشهر مصنفيهما روي عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم ، كان عالما بأيام الناس والأنساب والسير^(٢٤) فضلا عن براعته في حفظ الشعر والأغاني، والأخبار، والآثار، شديد الاختصاص بهذه العلوم يحفظ ما لم يحفظ من العلوم الأخرى^(٢٥) الى جانب اهتمامه في الرواية، وعلم التجريح ،وعلم البيطرة، والطب، والتاريخ، والنجوم وهذه العلوم المتنافرة لايجمعها جامع من الدراسة المنهجية كونه أديبا نسابا علامة شاعرا كثيراالتصانيف^(٢٦) .

ثانيا - تراثه الفكري :

(١٦) الاصفهاني، الأغاني ، نفسه، ج١، ص١٦.

(١٧) الحموي، معجم الأدباء، ج١٣، ص٩٩.

(١٨) الفهرست ، ص١٢٧.

(١٩) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

(٢٠) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٧.

(٢١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٣٠٨، اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٢، ص٢٧٠.

(٢٢) ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص١٠٨، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص١٩.

(٢٣) المصدر نفسه، الجزء ،والصفحة

(٢٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص١٩..

(٢٥) الأصفهاني ،مقاتل الطالبين، ص٤.

(٢٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص١٤٤.

وللأصفهاني تراثه الحافل بالأحداث التاريخية تمحور بجملة مصنفات منها نزهة الملوك والأعيان في أخبار القيان والمغنيات الدواخل الحسان ،والأنتصاف في مآثر العرب ومثالبها وفي تراثه الخالد هذا يشتمل على لطائف مستحسنة، وأخبار مستضرفة ،من أخبار القيان قديمهن وحديثهن^(٢٧) .

وتمجيده لمثالب العرب ومأربهم^(٢٨)، وأخبار الإماء الشواعر، وكتاب نسب بني عبد شمس ،وكتاب أيام العرب فيه الف وسبعمائة يوم، وكتاب الحانات، وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها ،كتاب جمهرة النسب ،وكتاب الديارات ،وكتاب نسب بني تغلب، وكتاب نسب بني كلاب، وكتاب المغنين ،وكتاب مجرد^(٢٩)، المماليك الشعراء، كتاب أدباء غرباء، كتاب تفصيل ذي الحجة ،وكتاب الاخبار النوادر، كتاب أدب السماع، وأخبار الطفيليين ، وكتاب مجموع الأخبار والآثار، وكتاب الخمارين والخمارات، وكتاب الوزن والمعيار في الأوغاد ، ومقاتل الطالبيين، وكتاب أخبار جحظة البرمكي، وكتاب مانزل في أمير المؤمنين علي (ع) وأهله ،وكتاب الغلمان المغنيين، وكتاب مناجيب الخصيان عمله للوزير المهلب في خصيين مغنيين كانا له^(٣٠) .
لم يصلنا من هذه المصنفات البديعة سوى (كتاب الأغاني) (ومقاتل الطالبيين)، (ومتداولات)، (وكتاب الديارات) ما يزال مخطوطا^(٣١) .

ثالثا - التعريف بكتاب الاغاني :

كتاب الأغاني للعلامة الإخباري ابي فرج علي بن الحسين بن محمد من أشهر كتب الأدب ،والتراجم وأجدرها بالثقة أهتم به القدماء ولم يغفله المحدثون ،ففيه ثروة أدبية واجتماعية، وتاريخية، وفنية، لا تقدر بثمن ألف ويرجع السبب من وراء تأليفه أنفرد بذكر الغناء والألحان ، وكل ما يخص الحياة الأدبية ،والفنية ،لكنه أتخذ ذلك ذريعة ليتوسع في ترجمته للشعراء، والأدباء، والمغنيين ويأتي مضمون كتابه هذا بالعجب العجائب حتى عد بحق من امهات الكتب لأثراء المكتبة التاريخية هو من كتب الأدب العربية الرصينة ، فقد ترجم للمئات من شعراء العرب الجاهليين، والمخضرمين ،والمحدثين ،كما ترجم للكثير من المغنيين في الدولتين الأموية، والعباسية وجمع فيه الأغاني العربية قديمها، وحديثها فهو أوسع كتب التراجم أطلاقا وبلغ عدد تراجمه حوالي (٥٠٠) شاعر وشاعرة عاشوا في الجاهلية، وصدر الاسلام والعصر الأموي وأوائل العباسي^(٣٢) .

(٢٧) خليفة ، كشف الطنون . ج٢، ص ١٩٤٧ .

(٢٨) الكندي، عيون التواريخ، ج١٢، ص١٢٦ .

(٢٩) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص١٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٨ .

(٣٠) الأصفهاني، المصدر نفسه، الجزء والصفحة، الحموي، معجم الأدباء، ج١٣، ص١٠٠ .

(٣١) الأمين، مستدركان أعيان الشيعة، ج٣، ص١٤٦ .

(٣٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٧ .

وينبغي أن يرجع إليه في سرد الوقائع والأحداث ،فهو وأن كان كتاب أدب لكنه جمع فيه من التاريخ الشيء الكثير تم الاتفاق أنه لم يعمل في بابه مثله ^(٣٣) قيل جمعه نحو خمسين سنة، عندما سمع صاحب بن عباد بهبة الحاكم للأصفهاني قال لقد قصر سيف الدولة بحقه وأنه ليستحق أضعافها ^(٣٤) قيل كان الوزير صاحب بن عباد ^(٣٥)، في أسفاره يستصحب حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطالعه أثناء سفره، فلما وصل إليه كتاب الاغانى لم يكن بعد ذلك يستصحب سوى الاغانى ^(٣٦)،فهو للنزاهة فكاهاة، وللعالم مادة وزيادة، وللكاتب المتأدب بضاعة وتجارة ^(٣٧)، كما حصل له ببلاد الاندلس كتب قد صنفها لبني أمية المقيمين هناك وسيرها اليهم سرا، وجاءه الانعام والعطاء سرا ^(٣٨) .

المبحث الثاني

دور المرأة من خلال كتاب الاغانى في الحياة الدينية والاجتماعية

اولا- الحياة الدينية :

لم نغفل ما للمرأة من دور فعال في الحياة الدينية ابرزهن ام المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد التي تزوجها الرسول محمد (ص) وولدت للنبي (ص) جميع أولاده ،الإ ابراهيم لا يختلفون ان النبي لم يتزوج عليها في الجاهلية قط ،وهي أول من آمن بالله ،وبرسوله (ص) على الأطلاق ^(٣٩) ومن أخبار عرب الجاهلية كثيرة منها ما قيل بحق سفانة أبنة حاتم الطائي كان أباه حاتم فأخبره كثيرة، وأثاره في الجود شهيرة عندما أسرتها خيل رسول (ص) قالت :((يامحمد هلك الوالد وغاب الوافد فأن رأيت ان تخلوا عني ولا تشمت بي أحياء العرب فأن ابي كان سيد قومه يطعم الطعام، ويحفظ الجار، ويفرج عن المكروب، ويفك الأسير)) ^(٤٠) .

(٣٣) ابن خلكان ،وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٨ ..

(٣٤) سرقيس ،معجم المطبوعات ، ج١، ص٣٣٩.

(٣٥) الصاحب ابو القاسم اسماعيل بن ابي الحسن بن عباد بن أحمد أبين أدريس الطالقاني كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه أخذاً الأدب عن ابي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة ومن ابي الفضل ابن العميد ،نشأ من الوزارة وفي حجرها ودرج من وكرها ،وورثها عن أبائه ،وهو اول من لقب بالصاحب من الوزراء ،ينظر: ابن خلكان ،وفيات الأعيان، ج١، ص٢٢٨.

(٣٦) ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب، ج٣، ص١٩.

(٣٧) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

(٣٨) القفطي، أنباه الرواة ، ج٢، ص٢٥٣.

(٣٩) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٨، ص١٧١.

(٤٠) الامين ، أعيان الشيعة، ج١، ص٢٨٧.

فقال النبي : يا جارية هذه صفات المؤمنين لو كان ابوك مسلماً لترحمنا له فأطلق سراحها، فأخبرت أخاها عدي فقالت يا أخي : أنت هذا الرجل قبل ان تعلقك حباله فأني قد رأيت هدياً ورأيت خصالاً تعجبني يعرف قدر الكبير قبل الصغير إني أرى ان تلحق به فأنا كان نبياً فلتسابق فضله وإن يك ملكاً فلن يذل في عز اليمن فقدم عدي الى النبي محمد (ص) فألقى الرسول مخدة محشوة ليفاً وجلس النبي محمد (ص) على الأرض فأسلم عدي بن حاتم وأسلمت أخته سفانة والتحقوا بركبه الشريف، كانت سفانة من أجود نساء عرب الجاهلية وأساخهن^(٤١) ومن النساء السيدة الولية ذات المقامات العلية رابعة بنت اسماعيل العدوية شهيرة الفضل لبصرية (ت ١٨٥ هـ / ٨٠١ م)^(٤٢) حدثنا عبد الله بن عيسى ، دخلت على السيدة رابعة العدوية فرأيت على وجهها نور، وكانت كثيرة البكاء، فقرأ عندها أية فيها ذكر النار، فصاحت ثم سقطت ودخلت عليها وهي جالسة على قطعة بوري فتكلم عندها رجل بشيء فجعلت اسمع وقع دموعها على البوري، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا منها^(٤٣).

ثانياً - الحياة الاجتماعية :

كانت المرأة في الجاهلية ذات مكانة مهمة، لم تكن نكرة ولا محتقرة كذلك بعضهن بحرية اختيار شريك حياتها كما أخبرنا رباح بن يقظة، عن شعر دريد بن الصمة عندما أراد الزواج من الخنساء تماضر بنت عمرو بقوله:

ان دريد خطبها من ابيها ، فقال له والدها ، مرحباً بك ابا قرّة انك لكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يرد في حاجته ولكن لهذه المرأة نفسها ما ليس لغيرها ثم دخل إليها فقال: يا خنساء اتاك فارس هوازن وسيد بني جشم ،دريد بن الصمة يخطبك ،وهو من تعلمين فقالت :يا ابت أتراني تاركة بني عمي وهم مثل رماح العوالي وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم وغداً^(٤٤) فخرج عليه أبوها فقال : يا أبا قرّة قد أمتنعت فقال قد سمعت قولكما فنصرف عنهما تبين من هذه الرواية للمرأة حق في اتخاذ القرار ان دل على شيء أنما يدل على المكانة الرفيعة التي كانت تتمتع بها الخنساء من حرية اختيار البعل مع وجود أبيها وأخويها وكلاهما أكبر منها سناً، كان قديماً النساء الشريفات يخترن أزواجهن ،فأن أساءوا معاملتهن يتركنهم^(٤٥) ان بعض العرب كانوا عكس من سبقهم يحبون بناتهم ويبدلون في إكرامهن غاية جهدهم دون أن يمنعهم ما كانوا يتقونه منهن الفضيحة وثقل

(٤١) (الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ج١، ص ٢٨٥.

(٤٢) (البافعي، مرأة الجنان، ج١، ص ٢٢١.

(٤٣) (ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم ، ج٧ ص ٣٢٧.

(٤٤) (الأصفهاني، الاغانى، ج١٥، ص ٦٣، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٧٤.

(٤٥) (الأصفهاني، المصدر نفسه ، ج١٨، ص ١٣٩، سقال ، العرب في العصر الجاهلي ، ص ٩٣.

المثونة انفردت المرأة بأهتمام كبير من قبل سادات الجزيرة العربية، ورجالات القبائل وردت روايات كثيرة بهذا الخصوص ، أخبرنا صاحب كتاب الأغاني عن ابي عبيدة أن معاوية ^(٤٦) .
بن وافي عكاظ في موسم من مواسم العرب فبينما هو يمشي بسوق عكاظ رأى أسماء المرينية وكانت جميلة جدا، وزعم انها كانت لاتزال بغيا فدعاها الى نفسه فمتنعت عليه وقالت: أما علمت أنا عند سيد العرب هاشم بن حرملة مدللة فأغضبته بقولها: فرد عليها والله لأقارعه عنك أجابته: شأنك وشأنه، فرجعت الى سيدها هاشم فأخبرته بما جرى قال: هاشم لانريم أبياتنا حتى ننظر مايكون من جهده ،فلما خرج شهر الحرام وتراجع الناس عن سوق عكاظ، خرج معاوية غازيا في بني مرة، وبني فزارة في فرسان أصحابه من سليم حتى اذا كان بمكان يدعى، الجوزة، والشك من ابي عبيدة سنح له طبي فتطير منه، ورجع في أصحابه فبلغ ذلك هاشم بن حرملة ،فقال:مامنعه من الأقدام الاالجبن ^(٤٧)،وقيل كانت عبله بنت عبيد بن خالد بن قيس بن حنظلة عند رجل من بني جشم بن معاوية فبعثها بأنحاء المدينة تبيع له السمن بسوق عكاظ، فباعت السمن وراحتين كانت عليهما، وشربت بئمنهما خمرا، فطلقها، ثم حظيت بعبد شمس بن عبد مناف الذي أحبها حبا جنونيا لا يكاد يفارقها من شدة الهيام بها فتزوج بها ولدت منه أمية الاصغر، وعبد أمية ،ونوفلا وهم بنو العبلات ^(٤٨).

لم يقتصر اهتمام المرأة في العصر الجاهلي عند الرجال فحسب بل تعداه الى النساء منها حب هند بنت النعمان بن المنذر وحديث عشقها لزرقاء اليمامة، أنها أول أمراه أحببت امرأه في العصر الجاهلي قيل أن زرقاء اليمامة كانت ترى الجيش مسيرة ثلاثين ميلا، فغزا قوم من العرب قومها فلما قربوا تستروا بالشجر ،فسألها قومها ماترين يازرقاء وذلك في آخر النهار قال: أرى شجرا يسير؟ فقالوا كذبت أو كذبتك عيناك ،واستهانوا بقولها ،فلما أصبحوا صبحهم القوم ،فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا الزرقاء فقلعوا عينها فوجدوا فيها عروقا سوداء ،فسئلت عنها فقالت : اني كنت أديم الأكتحال بالإثمد، وماتت بعد ذلك بأيام، وبلغ هند خبرها فترهبت ولبست المسوح وبنت ديرا عرف بدير هند ^(٤٩) فقامت فيه حتى ماتت ^(٥٠) .

وللمرأة دور كبير في تكوين الأسرة وأنجاب الأطفال يجب أن تكون مهام المنزل منحصرة في تهيئة الطعام والشراب لا يكاد يخرج عن اللبن والحليب ،والتمر ،والدقيق والعسل ،والزبد، والسمن والزيت ، والشحم، ان مأكّل العرب وحلوياتهم لم نراها تتعدى هذه الأشياء تفرد ثم تخلط مع بعضها البعض ،اما اللحم فغاية أحضاره أن

(٤٦) هو معاوية بن عمرو اخو شاعرة العصر الجاهلي الخنساء المعروفة بتماضر ، : البغدادي، خزنة الأدب ، ج٥، ص ٤٢٦ .

(٤٧) الأغاني، ج١٥، ص٦٣. البغدادي، المرجع نفسه ، ج٥، ص ٤٢٧ .

(٤٨) الأصفهاني، ج١، ص١٧٩ .

(٤٩) هو دير الهند الذي بنته بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة ، : الزبيدي ، تاج العروس ، ج٥، ص ٣٣٩ .

(٥٠) الأصفهاني، الاغاني، ج٢، ص ٤١٥ .

يشوى على الجمر او على الحصى او يدفن في الرماد او يكون جيدا ،لذلك كان بعض النساء يقضين يومهن في القيام برعي الأبل ،والمواشي (٥١) .

ومن أجل أن نحقق الغاية الأسمى في الحياة الاجتماعية عرف العصر الجاهلي حركة شعرية ناشطة ، كان الشعر فطريا عند العرب، فيما ندر لا يستطيعه كما برعت المرأة بهذا اللون الشعري الجميل قيل ذكر أعرابي أن حاتم الطائي كان من أبرز شعراء الجاهلية ينحر كل يوم عشرا من الأبل لإطعام الناس يأوى إليه الشريد والغريب، ويهتدى به صاحب السبيل أذ تزوج من السيدة ماوية بنت غفير كانت تلومه كثيرا على أتلاف ماله فلا يلتفت لقولها كان لماوية أبن عم يقال له مالك فقال لها يوما: ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وأن مات ليتركن اولادا عالة على قومك قال لها : طلقي حاتما وأنا اتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك وكانت النساء في الجاهلية يطلقن الرجال و طلاقهن يتم في بيوت من شعر وعليه بات واضحا طلقت ماوية زوجها حاتم الطائي وعندما علم حاتم بذلك اخبر ابنه عدي ما صنعتة امه اذ قامت ماوية بتغيير خبائها بعيدا عنه وعزمت الزواج من ابن عمها وقيل نزل حاتم على الفور مع ابنه في بطن واد ولم تمضي اياما حتى اقبل الى مكانه القديم مايقارب خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا قالت لجاريته أذهبي لأبن عمي مالك وقولي له : أن أضيافا لحاتم قد نزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون فأرسل إلينا بشيء نقرهم ولبن نسقيهم فأن رأيت له لطم وجهه وضرب لحيته اتركه قال لها اقرئها السلام وقولي لها : هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتما لأجله ما عندي لبن يكفي أضياف حاتم (٥٢) ..

عليه فيما سبق يقف الشاعر في مطلعته يحيي هذه المرأة تحية تعظيم لها ، يصفها في مستهله وصف الهائم بمحاسنها ،مفتون بمحبتها حتى تغنى بها في سائر أحاديثهم ،وقصائدهم ومجالسهم اراد الأصفهاني، أظهار مزاياها الحسنة رغم نقشي ظاهرة الجهل، والتخلف وواد البنات وعرف بمنظوره الأدبي تلك المرأة حسنة المنظر، بارعة الجمال، فصيحة الكلام ، لينة الجانب، فضلا عن أجادتها أنشاد الشعر، بيد أن ملامح نساء العصر الجاهلي تعطي أنطباعا مصيريا لن يجعلها مجرد جارية ،وأمه لابد من الإشارة لدور الكبير الذي لعبته في ميدان الحياة الأدبية من النساء اللاتي برعن في أنشاد الشعر، وتغزلت بهن القصائد والأشعار أمامه بنت ذي الاصبع بن حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن يسار بن ربيعة بن هبيرة في رثاء قومها :

كم من فتى كانت له مiece ابلح مثل القمر الزاهر
قد مرت الخيل بحافاته كمرغيث لجب ماطر
قد لقيت فهم وعوانها قتلا وهلكا آخر الغابر
كانوا ملوكا سادة في الذرى دهرها لها الفخر على الفاخر (٥٣).

(٥١) الزيات، المرأة في العصر الجاهلي، ص ١١.

(٥٢) الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج ١، ص ٢٨٦.

(٥٣) الأصفهاني، الأغاني، ج ٣، ص ٧٧.

ذكر الاصفهاني بقوله حدثنا عبد الله بن أبي سعد وعلي بن صباح قال كانت أمراه من بني كلاب يقال لها زهراء تحدث ابن أسحاق وتتأشده ، وكانت تميل اليه وتكنى عنه في عشيرتها فحدثني أسحاق أنها كتبت اليه وقد غابت عنه تقول :

وجدي يحمل على اني أحجمه وجد السقيم ببرء بعد ادناف

أوجد ثكلى أصاب الموت واحدها أو وجد مغترب من بين الأف

قال فأحببتها: أقرئ السلام على الزهراء أذ شحطت وقل لها قد أدقت القلب وماخاف أما رئت لمن خفت مكتئبا بذري مدامعه مسحاً تكافاً^(٥٤).

وأخبرني محمد بن عمران الصيرفي أشار أبو العتاهية لأبنته رقية في علته التي مات عليها يابنية قومي فأنديني أباك بهذه الأبيات الشعرية فندبته :

لعب ليلي بمعالي ورسومي وقبرت حيا تحت ردهم همومي

لزم ليلي جسمي فأوهن قوتي أن ليلي لموكل بلزومي^(٥٥)

ذكر بو زيد : بحق قتل كرز بن عامر بن عبادة فقالت أخته هند بنت حذيفة ترثيه دفعت قومها للنار من قاتله بقولها :

ليلي للهموم الحواضر ولاحالف بر كأجر فاجر

وشيب رأسي يوم وقعة حاجر لعمرى وماعمرى علي بهين^(٥٦)

كما لم يقتصر دورهن بإنشاد الشعر ونظمه فحسب ، بل تعداه الى الغناء كان أول من تغنى في الجاهلية جاريتان كانتا لمعاوية بن بكر من قبيلة عاد الهالكة المعروفتان "بالجرادتين" وتحدث صاحب كتاب الأغاني عنهما بإسهاب طيب^(٥٧).

بقوله ذات يوم مرت جارية بأبي ربحانة المدني على ظهرها تحمل قرية وهي تغني بصوت جميل وتقول :

وأبكي فلا ليلي بكت من صباية الي ولا ليلي لذي الود تبذل

وأخنع بالعربي اذ كنت مذنباً وأن أذنبت كنت الذي أتصل

فأعجبته فقام اليها فقال: ياسيدي أعيدي، فقالت مولاتي تنتظرنني والقرية على ظهري ، فقال أنا أحملها عنك، فدفعها اليه فحملها وغنته الصوت، فطرب ورمي بالقرية فشققها، فقالت له الجارية أمن حقي أغنيك وتشق قريتي فقال لها، لا عليك تعالي معي الى السوق ، فجاءت معه فباع ملحفته واشترى لها بئمنها قرية جديدة^(٥٨) قيل كان

(٥٤) الأغاني، ج ١، ص ١٠٢٥.

(٥٥) الأصفهاني، ج ١٥، ص ٦٣.

(٥٦) الزيات، المرأة في الجاهلية، ص ١٤.

(٥٧) الأغاني، ج ١٥، ص ٦٣، ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٨٢.

(٥٨) الاصفهاني ، الأغاني ، ج ٦، ص ٣٤٩.

لأبن جدعان^(٥٩) الجرادتين ، وذكر الكلبي: كانت لأبن جدعان أمتان تسميان جرادتين تتغنيان في الجاهلية ، سماها بجرادتي عاد ووهبهما عبد الله بن جدعان لأمية بن أبي الصلت الثقفي، وقد أمتدحه، فرأى أمية ينظر إليهما في مجلسه أعطاه إياهما كهدية^(٦٠).

ذكره الأصفهاني توجه أبن المسجع ذات يوم الى الشام فصطحبه رجل له جوارى مغنيات حسناوات وكان معهم سعيد رجل أسود من بلادهم فتوجهوا الى بيت القنية المغنية ونزلوا به وتناووا غدائهم قال لهم سعيد لعل بينكم من يستقذرنى فجلس في ناحية يأكل ، ثم خرجت جاريتين فجلستا على سرير وضع لهن فغنتا الى العشاء، ثم دخلتا فخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة، جلست الى جنبها الجاريتين أسفل السرير أشار أبن المسجع بقوله :

فقلت أشمس أم مصابيح بيعة بدت لك خلق السجن أم أنت حالم

فغضبت الجارية وقالت :أيضرب هذا الأسود بي الأمثال، ثم غنت صوتا عذبا، فقال أبن المسجع أحسنت والله، فغضب مولاها وقال، مثل هذا الأسود يقدم على جاريتي بسذاجته فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده قم وأنصرف فقد أثقلت القوم^(٦١) لسنا بصدد الحديث عن غناء النساء في العصر الجاهلي تغنى ابي فرج الاصفهاني في ذكر جميلة هي مولاة بني سليم ثم مولاة بطن يقال لهم بنو بهز، وكان لها زوج من موالى بني حارث بن الخزرج، وكانت تنزل فيهم ،فغلب عليها ولاء زوجها ،فقيل أنها مولاة للأنصار تنزل بالسنح، هو موضع كان ينزل به ابو بكر الصديق ،وذكر عبد العزيز بن عمران أنها مولاة للحجاج بن علاط السلمي وهي أصل من أصول الغناء ،وعنها أخذ معبد ، وابن حبابه، وعقيلة العقيقية وفيها يقول أبن أرمطة:

أن الدلال وحسن الغنا وسط بيوت بني خزرج

وتلكم جميلة زين النساء إذا هي تزدان للمخرج^(٦٢)

أخبرنا ابي فرج الاصفهاني بذكر خليدة المكية^(٦٣) التي غنت لهشام بن عروة يوما وهي صاحبة صوت جميل، تعد أجمل النساء صوتا وأدبا^(٦٤).

وممن اشتهرن بفصاحة اللسان ،وارتجال الكلام هند بنت الخس بن حابس بن أياد المعروفة بالإيادية التي جاءت عنها الأمثال تضرب، كانت معروفة بالصواب وفصاحة اللسان^(٦٥)، قيل جاء رجل الى هند لإيادية

(٥٩) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب كان سيدا جوادا ،صاحب مروءة وثقة ،الاصفهاني، المصدر نفسه ،ج٨، ص٤٤٩، النويري،نهاية الارب،ج٥، ص٣٨.

(٦٠) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٣٤٩.

(٦١) المصدر نفسه، ج٣، ص١٩٦.

(٦٢) الاغاني، ج٥، ص٦٤.

(٦٣) هي مولاة لأبن شماس ،كانت هي وعقيلة، وربيحة يعرفن بالشامسيات وقد أخذن الغناء من ابن سريح ومالك، ومعبد وروى ابو فرج قائلا : مارأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خليدة المكية، وكانت سوداء :ينظر، الأغاني ،ج٨، ص٣٥٣.

(٦٤) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

يستشيرها في أمره يريد يتزوجها فقالت: أنظر رمكاء جسيمة أو بيضاء وسيمة في بيت جد، أو بيت عز، قال لها ماتركت شيئاً من النساء قالت بلى: تركت السويداء الممرض، والحميراء المحياض قال لها صدقت^(٦٦)، كما اشتهرت الخنساء المعروفة بتماضر بنت عمرو بن الحارث بن عمرو بفصاحة اللسان أذ تلقبت بالفصاحة والبيان والشهرة^(٦٧)، عليه بات واضحاً لم يقتصر دور نساء العصر الجاهلي في الميدان الأدبي والعملية فحسب وإنما كانت لهن صولة في ميادين القتال الى جانب الرجل سنتطرق الى ذلك في المبحث الثالث .

المبحث الثالث

دور المرأة من خلال كتاب الأغاني في الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية .

أولاً - الحياة السياسية والعسكرية :

لم يكن دور النساء أقل شأنًا من الرجال في الميدان السياسي فحسب بل كان النساء دور تحرض على أخذ الثأر في الحروب فقد اصطحب الرجال معهم في غزواتهم لكي يشددن عزائمهم بأناشيدهن ،ولندبتهم عندما يموت فارس ،ومن هؤلاء النساء الخنساء ولها مرث في أخيها صخر ومعاوية مشهورة، كانت المرأة تحض على الثأر وأكثر ماكان يغضبها قبول عشيرتها الجزية من قبيلة أخرى لترك الثأر ،فالدم لا يغسله إلا الدم^(٦٨)، وقد قالت ام عمرو بنت وقدان عندما أرادت عشيرتها قبول الجزية في أخيها :

إن انتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فبئس رهط المهرق^(٦٩) .

(٦٥) الزبيدي، تاج العروس، ج٨، ص٦٨ .

(٦٦) الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج١، ص٢٢٥، صفوت، جمهرة خطب العرب، ج١، ص٦٨ .

(٦٧) الفطحي، انباه الرواة على أنباه النخاة، ج٣، ص١٦٤ .

(٦٨) فليب حتى ، تاريخ العرب، ج١، ص٣٣. قائمة

(٦٩) الجوهري، الصحاح، ج٣، ص ١٠٢٥ . قائمة

وسبيعة بنت عبد شمس أخبرنا الأصفهاني أن مسعود بن معتب الثقفي قد ضرب على أمراءته سبيعة بنت عبد شمس^(٧٠) خباء من دخله من قريش أمن، فجعلت توصل في خبائها، فلما انهزمت قيس في الحرب دخلوا خبائها مستجبرين بها فأجار لها حرب بن أمية حيرانها وقال لها: ياعمة من تمسك بأطناب خبائك أودار حوله فهو أمن فستدارت قيس بخبائها فلم يبق أحد منهم الا نجا^(٧١)، ومن أظهر الدلائل بما كان للمرأة من تأثير في أفئدة قومها ما نقل عن أبنتي الفند الزماني^(٧٢) يوم التحالق، أنها لما اشتدت الوغى وحمي القتال وخاف بنو بكر من الفرار، عمدت أحدهما الى أثوابها فألقتهما عنها وأقبلت عارية مجردة وجعلت تحض الناس، ثم أفتدت بها أختها فكشفت عن جسمها ووثبت بين القوم تحرض الفرسان على القتال وهي تنشد الأشعار:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق اوتدبروا نفارق^(٧٣)

فتحمس القوم وثار في رؤوسهم حمية الجاهلية ووثبوا يتقاتلون قتالا منكرا، ولأجرم أن المتأدب بآداب العصر يتقطع أمر هاتين الفتاتين وينسبهما الى القحة، او الفجور، كما أتهمهما بعض الرواة ولكن من راجع ذكرته من معرفة المرأة بسلطتها على الأفكار وتأثيرها في النفوس^(٧٤).

ثانيا- الحياة العسكرية :

ومن النساء التي ذاع صيتها في ميدان الحرب الملكة الزباء^(٧٥) ألتى أمتد ملكها من الفرات الى تدمر فلما أستجمع لها أمرها وأستحكم ملكها، واجتمعت لغزو جذيمة^(٧٦)، كانت داره تقع بالموضع المعروف بالمضيق^(٧٧) بين بلاد الخانوقة^(٧٨)

(٧٠) سبيعة بنت عبد شمس: وهي أمراء مسعود بن معتب الثقفي بن عبد مناف، ينظر: الأغاني، ج٢، ص٣١٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٨٦.

(٧١) الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج٢، ص٣١٦.

(٧٢) هو شهل بن شيبان بن زمان بن مالك بن صعيب بن علي، المعروف بالفند، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٠٩.

(٧٣) الزيات، المرأة في الجاهلية، ص٢٩.

(٧٤) المرجع نفسه، والصفحة.

(٧٥) اسمها نائلة بنت عمرو بن ضرب بن حسان بن أدينة بن السميدع بن هوثر بن عريب بن مازن بن الأزدي بن عميلة بن هوثر بن عمليق بن السميدع بن الصوار ملكة جزيرة العرب كان جنودها من بقايا العمالقة وكانت العمالقة ملوك الشام، والعارية الأولى، وقبائل من قضاة، فلما أستحكم حكمها، أجمعت على غزو جذيمة الأبرش تطلب بثأر أبيها، مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص١١٠، الدينوري، عيون الأخبار، ج١، ص٨٨.

(٧٦) كان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وأول من أستجمع له الملك بأرض العراق وضم إليه لعرب وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت

العرب عنه فقيل الوضاح والأبرش إعظاما له وكان منازل بين الحيرة والأنبار وكانت تجبى له الأموال وتقد له الوفود وغزا طسما وجديسا في منازلهم في البمامة، :

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٤٢.

وقرقيسيا (٧٩) كانت الزباء تملكت بعد أبيها (٨٠) ، هي من أحزم الناس ، فخافت ان تغزو ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ ، اذا خافت عدوا تحصنت بحصنها المنيعة اجمعت على غزو جذيمة ثائرة بأبيها فقالت لها أختها زبيبة كانت ذات رأي وحزم أنك ان غزوت جذيمة فإنه أمرؤ له ما يصده ، فأن ظفرت أصبت ثأرك والحرب سجال ولكن أبعثي إليه فأعلميه أنك قد رغبت في أن تتزوجيه وتجمعي ملكك الى ملكه اخذت بكلام أختها الصائب فكتبت الزباء الى جذيمة تخبره : أنها قد رغبت في صلة بلدها ببلده ، وأنها في ضعف من سلطانها ، وقلة ضبط لمملكتها ، وانها لم تجد كفئا غيره

(٨١) فلما أنتهى كتاب الزباء الى جذيمة الأبرش ، قدم عليه رسلها بمخاطبات شبيهة بهذا المعنى ، استخفه مادعت

إليه ، رغبته فيها اطمعته ، جمع أهل الرأي ، فاستشارهم ، فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها ويستولي على ملكها (٨٢) من بينهم رجل يقال له قصير (٨٣) ، أمره ان لا يفعل وأن يكتب إليها فأن كانت صادقة أقبلت إليه والاتق في حبالها فعصاه جذيمة وأطاع مستشاريه أذ سار ركبته حتى صار بركة (٨٤) .

دون هيت الى الأنبار فأمره بالشخص إليها وقال قصير ابن سعد تتصرف ودمك في وجهك (٨٥) أجابه جذيمة ببقة قضي الأمر ، فلما شارف مدينتها قال لقصير ما الرأي ؟ أخبره ببقة تركت الرأي ، قال خطر يسير

(٧٧) قرية في لحف أراه بين مكة والمدينة ، أغارت بنو عامر ورئيسهم علقمة بن علاثة على زيد الخيل الطائي فالتقوا بالمضيق فأسرهم زيد الخيل عن آخرهم وكان فيهم

الخطيئة فشكا إليه الضائقة فمن عليه ، : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .

(٧٨) على وزن فاعولة ، هي المدينة التي بنتها الزباء على شاطئ الفرات ، من ارض الجزيرة ، وعمدت الى الفرات عند قلة مائة فسكر ، ثم بنت في بطنه ازجا جعلت فيه نفقا

الى البرية ، وأجرت عليه الماء فكانت اذا خافت عدوا دخلت النفق ، : البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ٢ ، ص ٤٨٥ .

(٧٩) بالفتح ثم السكون ، قاف أخرى ، وباء ساكنة ، وسين مكسورة قرقيسيا معرب من كركيسيا وهو مأخوذ من كركيس وهو أسم لأرسل الخيل المسمى بالعربية الحلبة ، :

الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٨ ، وهي من عمل الفرات ، : الهمذاني ، البلدان ، ص ١٨٠ .

(٨٠) المسعودي ، مروج الذهب ج ٢ ، ص ٦٥ .

(٨١) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٢١١ .

(٨٢) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٨٣) قصير بن سعد بن عمرو اللخمي أحد رجال القصة المشهورة ، في انتقام عمرو بن عدي من الزباء في الجاهلية يقال ان قصيرا كان صاحب رأي ودهاء ، من خلاصاء

جذيمة الأبرش ، ملك العراق ايام ملوك الطوائف وكان جذيمة قد حارب عمرو بن ضرب بن حسان ملك الجزيرة ، وقتله ، وتولت الزباء ملك الجزيرة بعد أبيها فبعثت الى

جذيمة ترغب الزواج به الا أن قصير ابن سعد حذر ، فأنه حذر من غدرها وخالفه جذيمة رأيه ، : الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٩٩ .

(٨٤) بالفتح ، وتشديد القاف ، واحدة البق : اسم موضع قريب من الحيرة ، وقيل حصن كان على فرسخين من هيت ، كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة ، وإياه اراد قصير

، وقد استشاره جذيمة بعد قوات الأمر ، وقد اشار عليه ان لا يمضي الى الزباء فلم يطمعه ، فلما قرب منها وأحاط به عساكرها قال جذيمة ما الرأي يا قصير ؟ فقال له : ببقة

تركت الرأي ، : الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٧٣ .

(٨٥) البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

في خطب كبير وستلقاتك أن سارت أمامك فالمرأة صادقة ،وأن أخذت في جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون التقى بالخيول أحاطت به من كل جانب فقال له قصير: اركب العصا فأنها لا تدرك ولا تسبق يعني فرسا كانت له تجنب قبل ان يحولوا بينك وبين جنودك وأخذ جذيمة وأدخل على الزباء فاستقبلته فإذا هي قد صفرت الشعر عليه، وكشفت عن عورتها فقالت: يا جذيم أذات عروس ترى ؟قال :أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر، أشارت لجواربها ،خذن بعضد سيدكن ففعلن ما أمرتهن به ،ثم دعت بنطع فأجلسته عليه، وأمرت برواهشه فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه ،وقالت له يا جذيم لا يضيعن من دمك شيء فأني أريده للخبل^(٨٦) . فقال لها : وما يحزنك من دم أضاعه أهله وانما كان بعض الكهان قال لها إن نطف من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف ،فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة من رخام ومات^(٨٧) .

ثالثا - الحياة الاقتصادية :

(٨٦) بفتح الخاء وتسكين الموحد فساد الأعضاء الخراج ،والفتن المفسدة ،والهرج ، القرض والاستعارة ، : عبد المنعم ، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج٢، ص ١٥ .

(٨٧) الأصفهاني ، الأغاني، ج١٥، ص ٢١٢ .

يبدو جليا كيف أن المرأة في الجاهلية لم تكن مهمة قد تملك الأموال ومارست التجارة تمتعت بحرية لاحصر لها في ميدان العمل جعلتها بارزة في المجتمع الجاهلي (٨٨).

ينبغي ان يكون للمرأة في هذا الميدان سطوة ونفوذ في مجتمع يغلب عليه الطابع الذكوري، خير ما يضرب به المثل ام المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد(رض) كانت بحق أمراه اقتصاد كرست جل أموالها في ترسيخ القيم الإنسانية لتعظيم دور المرأة في مجتمع جاهلي رفع شأنها وعزز مكانتها في الحياة العامة (٨٩).

وسماء بنت مخزبة ألتى اشتهرت في بيع العطور في المدينة، ذكرها الربيع بن معوذ بن عفراء، بقوله: أن أبوها قتل أبا جهل بن هشام ،وقيل عبد الله بن مسعود قتله، فذكرت سماء بهذا الكلام حيث دخلت عليها نسوة وهي تبيع عطرا فسألت عنها، أنتي أبنة قاتل سيده تعني أباجهل، فردت قائلة بل أنا أبنة من قتل عبده قالت لي حرام علي أن أبيعك عطر ثم انصرفت عنها ، لا والله مارأيت عطرا أطيب من عطرها في حياتي ، ولكنني أردت أن أعيبه لأغيبها (٩٠) الى جانب أمتهانهن المهن البسيطة البيت كله كان في الغالب قائما في أطراف أو خباء ، يتولين فيه الرदन أي صناعة الغزل ومنه اشتقاق ردينة من أسمائهن ،أوينسجن الصوف والوبر والشعر ويدبغن الأديم ويرملن الحصير (٩١).

وأشار الوليد بن عقبة بقوله: فإنك والكتاب إلي علي كدابة وقد حلم الأديم (٩٢)

ولايبعد أن يكون هنالك صنائع كن يمارسها مما لا يكاد يتعدى حاجة الفقر، مثلما عملت ردينة (٩٣) أنها كانت في خط هجر هي وزوجها سمهر يقومان الرماح ،ولذلك نسبت الرماح إليهما فقل رمح رديني ورمح سمهري (٩٤) ، يلحق بهذه المهن البسيطة فنون الكهانة كالضرب بالحصى وزجر الطير أو العيافة (٩٥) وهي أن ترمي الطائر بحصاة أو أن تصيح به ، فأن طار عن اليمين استسعدت به ،وإن طار عن اليسار تشاءمت به تسمى العرب الأول سانحا (٩٦).

(٨٨) السقال ، العرب في العصر الجاهلي، ص٩٥.

(٨٩) الزيات، المرأة في الجاهلية، ص٢٢.

(٩٠) الأصفهاني، الاغانى، ج١، ج١، ص٦٥.

(٩١) الزيات، المرأة في الجاهلية، ص٢١.

(٩٢) الميداني، مجمع الأمثال ، ج٢، ص ٩٦.

(٩٣) ارديني نسبة الى ردينة وهي أمراه رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح فإذا غاب باعت ردينة مكانه وكانا يتفقان الرماح ،فالردينية منسوبة الى ردينة ، والسمهرية

منسوبة الى سمهر عامل الرمح ، : الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ١٠٢ ، الزبيدي، تاج العروس ، ج٦، ص ٥٤٦.

(٩٤) النويري، نهاية الأرب ، ج٦، ص ٢١٥.

(٩٥) اسم من عافت الطير تعيف إذ استدارت وحامت على الشئ وعاف الطير زجرها ، : الدينوري، عيون الأخبار ، ج١، ص ٢٣٩.

(٩٦) يعني ما مر بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ،والعرب تتيمن به، لأنه أمكن للرمي والصيد وفي المثل من لي بالسائح بعد البارح كالبروح والريح كصبور

وأمرير ،: الزبيدي ، تاج العروس ، ج٤، ص ٩.

والثاني بارحا^(٩٧) ولايستبعد أن تكون هنالك صنائع كن يمارسها لا تكاد تتعدى حاجة الفقر، مثلما عملت ردينة^(٩٨) كانت في خط هجر هي وزوجها سمهر يقومان الرماح لذلك نسبت الرماح إليهما فقل رمح رديني، ورمح سمهري^(٩٩)، يلحق بهذه المهن البسيطة فنون الكهانة كالضرب بالحصى وزجر الطير أو العيافة^(١٠٠) هي أن ترمي الطائر بحصاة أو أن تصيح به ، فأن طار عن اليمين استسعدت به ، وإن طار عن اليسار تشاءمت به تسمى العرب الأول سانحا ،والثاني بارحا^(١٠١) كانوا يعتقدون بصحة هذه الخرافات وقل من أنكرها كالبيد أنشد قائلا:

لعمرك ماتدري الضوارب بالحصى ولازاجرات الطير ما الله صانع^(١٠٢) فضلا عن المداويات للجراح ويعلمونها العبيد ولإماء وحرائر النساء تعرف بالأوسي^(١٠٣).

(٩٧) يعني به الشدة والشر والأذى والعذاب الشديد والمشقة البرح باليمين ويقال له لي منه برحا بارحا وقيل البارح من الصيد من الظباء والطير والوحش وهو مامر من

مياميك الى مياسرك ،والعرب تنطير به، لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تتحرف ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس ، ج٤، ص ٩.

(٩٨) ارديني نسبة الى ردينة وهي أمراه رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح فإذا غاب باعت ردينة مكانه وكانا يتقفان الرماح ،فالردينية منسوبة الى ردينة ، والسمهرية

منسوبة الى سمهر عامل الرمح ، : الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ١٠٢ ، الزبيدي، تاج العروس ، ج٦، ص ٥٤٦.

(٩٩) النويري، نهاية الأرب ، ج٦، ص ٢١٥.

(١٠٠) اسم من عافت الطير تعيف إذ استدارت وحامت على الشئ وعاف الطير زجرها ، : الدينوري، عيون الأخبار ، ج١، ص ٢٣٩.

(١٠١) المصدر نفسه الجزء والصفحة

(١٠٢) الزيات، المرأة في العصر الجاهلي ، ص١٢ .

(١٠٣) جمع أسه، وهي كناية عن الخائن في لغة أهل البادية ، الأصفهاني ، الاغاني ، ص١٥٥، السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص ٢٢٥ .

أولاً_المصادر الأولية :

- * ابن الأثير، ابو الحسن عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
١- الكامل في التاريخ، عدد الأجزاء ١٠، تحقيق ابو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) .
* الابشيهي،(ت ٨٥٠هـ) .
٢. المستطرف في كل فن مستظرف،(الناشر دار ومكتبة الهلال، د.ت) (البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .
٣- انساب الأشراف، تحقيق، محمد حميد الله ،ط ١ مطابع دار المعارف(مصر ، ١٩٥٩م) .
* البكري الأندلسي، (ت ٤٨٧هـ) .
٤ - معجم ما أستعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ط ٣، عالم الكتب (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
* الجوهري (ت ٣٩٣هـ) .
٥ - الصحاح ،تحقيق: احمد عبد الغفور العطار، ط ٤، دار العلم للملايين (بيروت / ١٩٨٧- ١٤٠٧هـ) .
* ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ).
٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) .
* حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني(ت ١٠٦٧هـ).
٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر (بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
* ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت ٤٥٦هـ).
٨. جمهرة أنساب العرب.
تحقيق: عبدالسلام محمد هارون - دار المعارف - القاهرة - ط ٣ - ١٩٧٧م.

- * ابن خلكان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
٩- وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، د- ت)
* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥ م).
١٠- تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٣١٩هـ / ١٩٧١م)
* الذهبي، شمس الدين: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
١١- تاريخ الاسلام، تحقيق: عمر عبد الرحمن التدمري، ط ١، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
* الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت ١٢٠٥هـ)،
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية (مصر، ١٣٠٦هـ).
* السمعاني: (ت ٥٦٢هـ- ١١٦٦م).
١٣- الأنساب، عني بنشره عبد الله عمر البارودي، ط ١، بيروت (دار الجنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
* الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين ط ١، مؤسسة دار الكتاب (قم، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).
١٤. الأغاني، دار أحياء التراث العربي (بيروت، د. ت.)
١٥- مقاتل الطالبين، منشورات المكتبة المركزية (لنجف، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م).
* ابن طيفور (ت ٣٨٠هـ)
١٦- بلاغات النساء، ط ١، مكتبة بصيرتي (قم المقدسة، د. ت.)
* أبن العماد، عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)
١٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤٢٤هـ).
* أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ، ١٣١٣م)
١٨- المختصر في أخبار البشر، ط ١، مطبعة المكتبة المصرية (مصر، د. ت).
* ابن قتيبة الدينوري: عبدالله بن مسلم، أبو محمد (ت ٢٧٦هـ)
١٩- عيون الأخبار، ط ٣، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣/ ١٤٢٤هـ)
* القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).
٢٠. أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الكتب المصرية، ١٩٥٢، (القاهرة، ١٩٥٢م).

- * ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
- ٢١- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار الهجر، (بيروت، ١٩٩٨م).
- * ابن شاكرا الكتبي، محمد بن أحمد (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)
٢٢. فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة (بيروت، ١٩٧٤م).
- ٢٣- عيون التواريخ، تحقيق، نبيلة عبد المنعم داوود وفيصل السامر، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨٤).
- * المسعودي: علي بن الحسين، أبو الحسن (ت ٣٤٦هـ).
- ٢٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر.، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى -، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
- * الميداني، أحمد بن محمد، أبو الفضل (ت ٥١٨هـ).
- ٢٥- مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة - ١٩٧٩م).
- * مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ).
- ٢٦- تجارب الأمم وتعاقب الهمم. عناية: هـ. ف آمدرورز - مطبعة شركة التمدن الصناعية (القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م).
- * ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م)
- ٢٧- الفهرست، دار المعرفة (بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)
- * النويري، (ت ٧٣٣هـ) .
٢٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د. ط.).
- * الهمذاني أحمد بن محمد (ت ٣٤٠هـ).
- ٢٩- البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط ١، (عالم الكتب للطباعة، د. ت.).
- * اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ)
- ٣٠- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، وتقليب أحوال الإنسان، وتاريخ موت بعض المشهورين من الأعيان
- دار الكتاب الإسلامي (القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
- * ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
- ٣١- معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
- ثانيا - المراجع العربية الحديثة:

- * الأمين حسن (ت ١٣٩٩) .
- ٣٢ . مستدرجات أعيان الشيعة ، ط١ ، دار التعارف للمطبوعات (بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) .
- * سركيس يوسف أليان .
- ٣٣ . معجم المطبوعات العربية والمعربة ، (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي ، قم ، ١٤١٠هـ) .
- * السقال ، ديزيزة
- ٣٤ - العرب في العصر الجاهلي ، دار الصداقة العربية ، (بيروت ، د.ت) .
- * الزركلي ، خير الدين
- ٣٥ . الأعلام قاموس تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين ، ط٤ ، دار العلم الملايين (بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .
- * الزياد ، حبيب
- ٣٦ . المرأة في الجاهلية ، ط١ ، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة / ٢٠١٢ م) .
- * عبد المنعم ، محمود عبد الرضا .
- ٣٧ . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، (الناشر دار الفضيلة ، د.ت)
- * البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ) .
- ٣٨ . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .
- * صفوت أحمد زكي (١٣٢٥) .
- ٣٩ . جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، ط٢ ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، (مصر ، ١٣١٨هـ / ١٩٦٢م) .